

من الخطابات الفاطمية لسماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (الزهراء ووراثة
المستضعفين)



من الخطابات الفاطمية
لسماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي
(الزهراء ووراثة المستضعفين)

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ)

السيدة الزهراء (عليها السلام) و وراثة المستضعفين .

لما عقد المنقلبون على الاعقاب عزمهم على نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهورهم ومخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخليفة من بعده وإقصاء أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مقامه، وواجهوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الكلام القاسي الذي فيه إعلان الحرب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في رزية يوم الخميس عندما أراد أن يؤكد الوصية ويكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، وقال قائلهم (إن الرجل ليهجر)، جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته خاصة ونظر اليهم وبكى وقال لهم (أنتم المستضعفون بعدي).

وظاهر الحديث وبقرينة الظروف التي صدر فيها أنه إخبار بأمرٍ محزن ومؤلم بأن زعماء الانقلاب سيظلمونهم ويعتدون عليهم بألوان الإيذاء، ولا يتورعون عن قتلهم وفعل أي شيء يتطلبه مشروعهم، وفي

الحديث إشارة إلى أن فعل القوم بأهل بيت النبي (ص) سيشابه فعل فرعون ببني إسرائيل حينما استضعفهم كما في قوله تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَاتٍ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص/4) وهكذا فعل القوم بآل بيت رسول الله (ص) فقد كان شعارهم الذي صرّحوا به في يوم عاشوراء بعد أن كان مخفياً (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية) لقد أرادت السيدة الزهراء بموافقها الرسالية أن تهدي الأمة إلى المنهج الذي يوصلهم إلى نيل هذا المنن الإلهي ليتخذ منهم قادة العالم ويمكنهم في الأرض ويجعلهم الوارثين باتباعهم علياً والأئمة من بعده والسير على هدايتهم، قالت (سلام الله عليها) في بعض كلماتها (أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيّه لما اختلف في الدنيا اثنتان ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين (عليه السلام)، ولكن قدموا من أخره الله، وأخروا من قدمه الله، حتى إذا الحدوا المبعوث وأودعوه الجحيم المجدوث إختاروا بشهوتهم وعملوا بآرائهم، تبا لهم أولم يسمعوا الله يقول (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص/68) بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه (فَلْيَرْزُقْهَا مَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج/46) هيئات بسطوا في الدنيا آمالهم، ونسوا آجالهم فتعسأ لهم وأضل أعمالهم، أعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور).

فالمديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تدل الأمة على أن وراثتهم الأرض وتمكينهم فيها حتى تكون يدهم العليا وغيرها من البركات تتحقق بوحدتهم خلف قيادتهم الحققة وطاعتهم لها والتجرد عن الأهواء والتعصبات والانفعالات والتحزبات والانانيات، وبذلك يحبطون خطط المستكبرين في استضعاف الناس من خلال تمزيق وحدتهم وجعلهم جماعات وأحزاباً ويضرب بعضهم بعضاً، قال تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) (القصص/4) أي فرقا مختلفة فيفقدون قوتهم في صراعاتهم الداخلية ويسهل استضعافهم لانهم لم يقيموا الدين في حياتهم وتخاذلوا على تطبيقه وتركوا فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) (الروم/32) (أَوْ يَلْبَسُونَ شِيَعًا وَيُذَبِّقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ) (الأنعام/65) . وتبين السيدة الزهراء عليها السلام، ان حركة الامة نحو وراثة الارض والتمكين فيها لا بد ان يقف على راسها القائد الجامع للشروط قالت في خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار وهي تذكر بركات اتباعهم أمير المؤمنين (عليه السلام) (ولأوردتهم منهلاً - وهو محل ورود الماء - نميراً - الماء العذب السائغ النامي للجسد - صافياً رويماً - كثير - فضفاضاً - واسعاً - تطفح صفته، ولا يترزق - لا يتكدر - جانبا، ولأمددهم بطاناً - أي أرجعهم مرتوين مملوئين - ونصح لهم سراً وإعلاناً (وَلَوْ أَنَّهُ لَاقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف/96) (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن

هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (الزمر/51) [13].

ولا بد ان نعلم ان التمكين في الارض ووراثة لها درجات متفاوتة لا يقتصر على تسلم السلطة والحكم فهذه وسيلة لا غاية وان التمكين الحقيقي هو ظهور وانتشار مشروعهم الالهي واقتناع الناس به فهذا هو المهم لان غرض الرسالات السماوية اصلاح الناس وهدايتهم وارشادهم الى السعادة والفلاح قال تعالى (وَلَا يَدْرِكُونَ النَّارَ لِهُمْ دَرِينَهُمْ وَالَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمُ وَلَدًا يُبَدِّلْ لَدُنَّهُمْ مَن يَبْعُدْ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْزِبُ اللَّهُ ذَنبِي لَّا يُشْرِكُ كُونَ بِهِ

ي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور/55) .

هذا

ولكن علينا أن نأخذ قضية تمكين المستضعفين من أهل الحق كسائر القضايا بحدودها وشروطها ونضعها في موضعها الصحيح من منظومة المعارف والقوانين الإسلامية والسنن الإلهية لأنها من مقتضيات العدل والرحمة الآلهية، أما مجرد تعرضهم للإستضعاف وألوان العذاب لا يجعل صاحبها موعوداً بالنصر والتمكين.

فقد وصفت مجاميع اخرى بالاستضعاف لكنها أُنذرت وحذرت لتقصيرهم وتكاسلهم وظلمهم أنفسهم ولانهم رضوا بحياة الخنوع والذل والاستضعاف والاستكانة، وربما داهنوا اهل الباطل ومضوا معه، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنْزَلْنَاهُمْ قَالُوا قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء/97) .

وَبَرَّحَ مُسْتَضْعَفُونَ آخَرُونَ لَأَنَّهُمْ كَانُوا قَاصِرِينَ وَلَمْ يَبْحَثُوا عَن طَرِيقِ الْمَعْرِفَةِ بِلَّهِ تَعَالَى وَالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَالْقِيَادَةِ الْحَقَّةِ، قَالَ تَعَالَى (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَافُوًا غَفُورًا) (النساء/99-98)

أما الذين وُعدوا بالنصر والتمكين ووراثة الأرض فلهم خصائص وخصال توفرت فيهم لأن الظلم والعذاب والأضطهاد الذي تعرضوا له لم يدفعهم الى التنازل عن مبادئهم وأخلاقهم والتزامهم بالحق، بل حافظوا على وجودهم وعقيدتهم وأخلاقهم والالتزام باتباع قيادتهم وما زادهم الاستضعاف الا هدى وصلاحا ونصحا.

وقد وردت أوصاف الذين يُمَكَّنون في الأرض في عدة آيات منها قوله تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج/41)، بعد قوله تعالى في وعدهم بالنصر (أُذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ لِلَّهِ عِلْمَ نَعْمَتِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج/39).

فتمكينهم في الأرض تكون له بركات وآثار تكشف عن صدق نياتهم وإخلاصهم في أهدافهم وثباتهم على الاستقامة التي أمرهم الله تعالى بها وعدم انخداعهم بالدنيا البراقة التي تتزيّن لهم إذا مكّن لهم في الأرض وهذه الخصائص هي:

1- (أقاموا الصلاة) فهم لا يكتفون بأداء الصلوات المفروضة عليهم كتكليف شخصي، وإنما يبذلون جهدهم لحث الناس جميعاً على الالتزام بها والمواظبة عليها وجعل الصلاة وجوداً اجتماعياً مؤثراً في حياة الناس ورادعاً لهم عن الفحشاء والمنكر ويشعر الجميع بمسؤوليتهم عن إقامته والمحافظة عليه، وأوضح مصداق لهذا الوجود صلاة الجمعة التي لا تؤدّى إلا جماعة وبحضور أمة كبيرة من الناس مما يجعل لها كياناً مؤثراً في حياتهم، وهذا ما جرّب به المجتمع العراقي عندما أقيمت فيه صلاة الجمعة المباركة.

2- (وآتوا الزكاة) بأن أخرجوا ما في ذمهم من حقوق شرعية وأقنعوا الآخرين بفعل ذلك وحثّوهم عليه وساعدوهم في إيصال هذه الأموال إلى مستحقّيها وانشئوا بها المشاريع الاقتصادية التي تؤدي إلى رفاه الناس وتوفير فرص العمل المناسبة والحياة الكريمة لهم.

3- (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فلم يتركوا أهل المنكر يفعلون ما يشاؤون بل وعطوهم وزجروهم واتخذوا الإجراءات الكفيلة بردهم حتّى لو اقتضى الأمر معاقبتهم، ولم يجاملوا أو يداهنوا كما يفعل الكثير من المتصدين اليوم تحت عناوين مخادعة كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني وفصل الدين عن الدولة والحدّات والعصنة والتقدم ونحوها من الخدع والأباطيل.

وأمروا بالمعروف وهو كل أمر مستحسن شرعاً وعقلاً وأقرّه العرف، ونشروه بين الناس وعزّوهم به وأيقظوهم من غفلتهم وأرشدوهم إلى ما يصلح دنياهم وآخرتهم وعلموهم أحكام الدين وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وسيرتهم العطرة، واقنعوهم باتباع القيادة الحقّة.

هؤلاء هم من ينصرهم الله تعالى ويعزّوهم ويؤيدهم ويمكن لهم في الأرض.

إن كثيراً ممن مكنهم الله تعالى ليبتليهم وينظر في سيرتهم تنكّروا لتلك الشروط والصفات المطلوبة فانحرفوا وأفسدوا، فأوعدهم الله بعذابه (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) (محمد: 22-23).

كالذي نشهده اليوم من تخلّي الكثيرين ممن وصل إلى السلطة عن أهدافهم وشعاراتهم والخصائص التي أشرنا إليها، حتّى آل الأمر إلى هذا الواقع التعيس الذي يعاني منه الكثيرون، وهذا كفر عظيم بالنعمة.

لكن بوادر النهضة والانبعاث تفجّرت من جديد هذه الايام وكانت الهجمة الوحشية لخوارج العصر ومن يقف وراءهم الضارة النافعة التي وُجِدَت الامّة وبرزت مكان قوتها فتحققت الانتصارات التي اذهلت القريب والبعيد.

